

تأثير جلال الدين الرومي المولوي في شعر الشيخ البهائي، العربي والفارسي

أ.د. دلال عباس - الجامعة اللبنانية

تمهيد

ربما سأل البعض ما هي أهميّة الحديث عن الشعر العرفاني والشعراء العرفانيين في ظلّ ما تعانيه البشرية اليوم من أزمات على مختلف الصُّعد. السؤال نفسه متضمّن الجواب المفترَض:

صحيح أنّ ما أبدعه العقل البشريّ في ما يتعلّق بالتقدّم العلميّ وتطوّر التّقانة قد سخر للبشر الأرض والفضاء، وابتكر لهم الوسائل والأسباب المدهشة للراحة والترّف، فأرضى عقولهم وغرائزهم، لكنّه عجز عن إرواء أرواحهم التي تتوق إلى ما وراء المادّة. في الوقت نفسه لم ينجح الفقهاء من أهل الظاهر أو "علماء الرسوم" في فهم الحقيقة أو إفهامها للعوام. لذلك فإنّ العودة إلى شعر التصوّف والعرفان في التراث العالمي والإسلامي، إنّما هي عودة إلى ما في هذا التراث من روحانيّة وقيم ومثّلٍ عليا، ربّما استطاعت أن تخفّف من آلام الإنسانيّة، وتوفّر لها بعض السعادة.

يهدف البحث إلى الإجابة عن هذا السؤال :

ما هي نقطة الالتقاء بين المولوي والبهائيّ بالنسبة إلى موضوع التصوّف والعرفان(٣)؟

الكلمات المفتاحيّة : البهائي ، المولوي ، التصوف والعرفان ، العشق الإلهي ، التصوف الإيجابي والتصوف السلبي، المجاهدة .

التصوّف والعرفان بمنظار المولوي^(١) والبهائي^(٢)

قبل الإجابة عن السؤال الذي طرحناه من المفيد أن نجيب عن التساؤل حول نقطة البدء للتصوّف الإسلامي بمعناه العام؛ هل تعاليمه برمتها نشأت من الإسلام أو كما يقول علي بن عثمان الهجويري في "كشف المحجوب": إن جذوره تتحدّر من فرضيات وأعمال زهدية لأصحاب الصفة، أو كما يُقال: أنّ مبادئ الاعتقاد في المسيحية كالرهبانية والمحيّة والسلام الكامل قد أثّرت في نشوء التصوّف، أو أنّه تأثّر بالأراء العرفانية في البوذية والهندوسية وبالفلسفة الأفلاطونية المُحدثة التي تتسم بالعرفان الحادّ أو معتقدات الأديان الإيرانية القديمة - لا سيّما المانوية - فأياً كان منشؤه الأصلي فهو مختلفٌ عن التصوّف الذي ظهر في العصر الإسلامي، ونضج متدرّجاً من بداية الإسلام، وتبدّل من زهدٍ فرديّ، وتعبّد شخصيٍّ إلى مدرسةٍ واسعةٍ ذات شعبٍ متعدّدة مصحوبةً بأدابٍ وتقاليّدٍ مختلفةٍ وأحياناً متناقضة. فنشأ في مجرى هذا التطوّر تصوّف يعتمدُ التزهدُ والعباداتِ المستمرةً والإقبال على التوبة والتخلي عن العلائق الماديّة والرياضات الشاقّة، وهذه مدرسة أويس القرني (المتوفى سنة 37 هـ) والحسن البصري (21 - 110 هـ) وسواهما؛ كما نشأ التصوّف المتسم بالعشق الذي يركّز على العشق الروحاني الحقيقي. في التصوّف المتسم بالعشق ومدرسة العرفان التي ينتمي إليها المولوي نجد الصفات الأخرى المنبثقة من العشق الحقيقي ومحبة الله المتمثلة بالزهد والورع والصبر والاستقامة والتوكّل، والرضا والتسليم للمشيئة الإلهية والفقر والفناء في الله. لذلك فإنّ جلال الدين المولوي في "المتنوي المعنوي" يذمّ الصوفيّين المزورين المتصنّعين الذين يشكّلون "الصوفيّة السليبيّة"، مقابل التصوّف الإيجابي المتسم بالعشق، الذي هو العرفان الإسلاميّ نفسه. تدلّ على ذلك مبادئه المستقلة في العرفان الإسلاميّ علاوةً على تمجيده في المتنوي المعنوي وكتبه الأخرى المشايخ الكبار كما في قوله:

عارفان كه جام حقّ نوشيده اند / رازها دانسته وپوشيده اند

هر كه را اسرار حقّ آموختند / مهر كردند ودهانش دوختند (متنوي معنوي، دفتر ٥، ص ٩١٨، ٩٣٦، ١٠٢١)

[العرفاء الذين تذوّقوا كأس الحقّ / عرّفوا الأسرار وأخفوها

الذين تعلموا أسرار الحقيقة / عَقَلوها وخاطوا شفاهم (وأقفلوا أفواههم)]

فالشريعة عند مولانا نورٌ يُضيء جادّة الطريقة، وينطوي مصباحها في مشكاة النبوة. وهو في رؤيته الكونية للعرفان يُعرض عن التصوّف المتسم بالزهد المتطرّف، فهو يُخالف المتصوّفين الذين يختارون الوحدة والتخلي عن الناس بغية الحصول على سكينه توفّر لهم فرصة العبادات الاستثنائية المرهقة، ونراه

يَتَّجِه اتِّجَاهًا اجْتِمَاعِيًّا، وَيَرْغَب فِي مَوَافَقَةِ النَّاسِ وَاصْطِحَابِ الصَّالِحِينَ وَمَجَارَاةِ الْأَصْدِقَاءِ الرُّوحَانِيِّينَ، كَمَا يُخَالِفُ الرَّهْبَانِيَّةَ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فِي كِتَابِهِ الْمَسْمُومِ " فِيهِ مَا فِيهِ (فَرُوزَانْفَر، فِيهِ مَا فِيهِ، ط ٢، طَهْرَان ١٣٦٢ ش، ص ٢٤٣) ".

إِنَّ الشَّاعِرِينَ يَلْتَقِيَانِ فِي الْعِرْفَانِ وَالتَّصَوُّفِ الْمَتَّسِمِ بِالْعَشْقِ ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى عَشْقٍ يَنْبَعثُ مِنْ جَمَالِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ، الْعَشْقُ الَّذِي إِنْ اِمْتَازَ بِهِ الْإِنْسَانُ يَصْبِحُ فِي ظِلِّهِ أَفْضَلَ الْكَائِنَاتِ، وَبِهِ يَنْتَهَرُ مِنَ الرِّذَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ أَوْ بَتَعْبِيرِ الْمَوْلَوِيِّ: مِنَ الطَّمَعِ وَالْعِيُوبِ وَالْعَلَلِ وَالْكَبْرِيَاءِ:

هر که را جامه از عشقی چاک شد / او از حرص و عیب کلی پاک شد

شاد باش ای عشق سودای ما / ای طبیب جمله علت‌های ما

ای دوی نخوت و ناموس ما / ای تو افلاطون و جالینوس ما

جسم خاک از عشق بر افلاک شد / کوه در رقص آمد و چالاک شد

عشق جان طور آمد عاشقا / طور مست و «خرّ موسی صعقا

بين التصوّف والفقه في حياة البهائي وآرائه.

مما لا بد منه، حين نتحدث عن البهائي فقيهاً (المهندس وعالم الرياضيات والفقير المجدد) ، أن نتكلّم على المنحيين الفلسفي والصوفي عنده، لأنهما شديدا الصلة بالاتجاه الفقهي الاجتهادي، وقد تطرّق البهائي في ما كتب إلى بحث قضية الخالق ووحدايته وصفاته والبعث والنشور، والكون والإنسان والقدر والجوهر الفرد، هذه القضايا التي عالجه الفلاسفة المسلمون قبله، فتناولها بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والوجدانية.

ونرى مهمّاً هنا أن نشير إلى العلاقة بين التصوّف والفقه في حياة الشيخ البهائي العملية وفي آرائه النظرية؛ فهو على الرغم من عشرات الكتب التي ألفها، ومن ممارسته التعليم طوال حياته، ومن نشاطه البارز والفعال، كان أميل إلى الزهد في الدنيا والتزام الصمت، والبعد عن التماس العطاء من غير الله عزّ وجلّ، هذا الزهد في الحياة الذي يظهر واضحاً جليّاً، في تشجيعه النفوس على التخلص من ربة المادة، كما يتضح من نفسه العرفاني الذي ظهر في سوانحه، وفي شعره العرفاني بالفارسية، وفي إكثاره من الحديث عن المتصوّفة وأخبارهم في كتابه "الكشكول" ، كما أنه يُكثر، في هذا الكتاب، وفي مثنوياته الشعرية، وفي قصته النثرية "موش وكربه" [القط والفار]، من التحذير من الدنيا والإقبال عليها، كما يُكثر من الترغيب بالآخرة والميل إليها، وينصح الإنسان بأن لا يطلب الدنيا للتمتّع بلذاتها، بل أن يطلبها لصالح يرجو إعانته أو طالح يخاف إهانته (بهاء الدين العاملي، الكشكول، ط.أعلمي، ج1، ص 198 و210).

لم يبتعد بهاء الدين العاملي، في تصوّفه، عن الأساس النظري للتصوّف، بوصفه حركة نفسية أو روحية، فهو يبدأ من فكرة الوصول إلى المعرفة، من طريق "الكشف" أو "الإشراق" أو "الحدس"، والوسيلة العملية لذلك هي "مجاهدة النفس" وكبح شهواتها. والعارف، في نظر البهائي، هو الذي يصل إلى منبع الحقيقة بالمجاهدة، من طريق تصفية الباطن للوصول إلى الحقيقة المطلقة (السّر الأزلي)، و"الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حدّ التكلّم فيها لعلمه بأفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفة بدوائها وقدرته على شفائها... والعامّة هم الذين اقتصر علمهم على الشريعة،

ويُسمّى علماءهم علماء الرسوم (بهاء الدين العاملي، الكشكول، ط.أعلمي، ج3، ص 97) ، ويقول: "إن علماء الرسوم والعوام لا يفهمون أسرار الحقيقة على ما ينبغي فتضرّهم أو تهلكهم (بهاء الدين العاملي، الكشكول، ط. دار الكتاب، ص 719)".

إنّ لوم الصوفيّة الضالة المتصنّعين الذين يشكّلون الصوفيّة السلبية قد ورد من قبل في شعر لسان الغيب "حافظ الشيرازي"، وكذلك نرى المولوي في المثنوي المعنوي يُزكّي الصوفيّة الإيجابية المتّسمة بالعشق، وينظر إليّ التصوف السلبي نظرة ساخطة، يصحبها تنديدٌ بالصوفيّة اللئيمة المرائية والمدنّسة بالمنكرات في إطار قصص تربويّة عذبة مباشرة أو غير مباشرة، ويسخر بنظرة سلبية مليئة بالنقد من سلوكهم وآرائهم (المثنوي المعنوي، الدفتر ٥، ص ٨٣٨، الدفتر ٢، ص ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦)

في هذا السياق، نرى البهائي يدعو إلى التوفيق ما بين "الطريقة" والشريعة، في وقت أخذ التطرّف والغلو من الفقهاء القشريين والمتصوّفة في عصره خطاً تصاعدياً نامياً، وحكم كل فريق على الآخر بالابتعاد عن الجادّة. ويُجمل موقف البهائي من الفقهاء والمتصوّفة العنوان الذي جعله في بداية مثنوي "نان وپنير" [الخبز والجبن]، وهو: "فصل في ذم المنتقدين للحكمة وينكرون لطفائها وسرائرها من الغفلة والظلمة، وفي تفسير من تفقّه ولم يتصوّف فقد تفيقه، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد ترندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق (كليات شيخ بهائي، مقدّمة مثنوي "نان وپنير"، ص ٤٤٤)".

التصوّف والعرفان في شعر الشيخ البهائي العربي

كان طبيعياً ان لا يبقى الشيخ البهائي في حدود الظاهر في تعاطيه مع الدين، وقد عرف أوّلاً من نهج الإمام علي (ع)، ومن الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (ع)، وكانت "مناجاة المحبّين" للإمام السجّاد (ع) من أوائل النصوص التي كان يعلمها لتلامذته، وهذا النص من أوائل النصوص العرفانية في التراث الإسلامي، وقد نهل، أيضاً، من ذلك التراث العرفانيّ الفارسي الذي امتدّ قرونًا... واستعار الرموز التي استخدمها العرفانيون، لا سيّما المولوي كالخمرة والناي والبيغاء والفيل وموسى ويوسف (ع)، لكننا نلاحظ أنّه وظّفها توظيفاً يخدم المعاني التي يقصدها.

لذلك نرى أن عرفان الشيخ البهائي يتجلّى في شعره الفارسي أكثر من تجلّيه في شعره العربي، وإن كنا نعثر في شعره العربي، لا سيّما الديني منه، على لمحات عرفانيّة، ولقد ارتبط شعره الديني (العربي) برؤية النبي (ص)، أو أهل بيته (ع)، في المنام، حيث ينال عطفهم ويُسقى من محبتهم خمرة صافية طهورًا:

وليلة كان بها طالعي	في ذروة السعد وأوج الكمال
قصّر طيب الوصال من عمرها	فلم تكن إلا كحلّ العقال
...سقيتُ في ظلماتها خمرًا	صافيةً صرفًا طهورًا حلال
وابتهج القلبُ بأهلِ الحمى	وقرّت العينُ بهذا الجمال

يقولُ في " المناجاة والشوق إلى صحبة أصحاب وأرباب الكمال " (من مثنوي " شير وشكر " (الحليب والسكر)، كليات شيخ بهائي، نفيسي، ص 141):

عشاق جمالكَ إحترقوا	في بحر صفاتك قد غرقوا
في بابِ نوالك قد وقفوا	وبغير جمالك ما عرفوا
نيران الفرقة تحرقهم	أمواج الأدمع تُغرقهم
من غير زلالك ما شربوا	وبغير جمالك ما طربوا
صدّات جمالك تفنيهم	نفحات وصالك تحييهم
كم قد أحيوا، كم قد ماتوا	عنهم في العشق رواياتُ
طوبى لفقيرٍ رافقهم	بشرى لحزينٍ وافقهم

الصورة واضحة ومدلولها العرفانيّ واضح، أيضًا، فالعشاق هم أصحاب الحال وأرباب الكمال، احترقوا بمحبة الذات العلية وغرقوا في بحر صفات الله عزّ وجلّ، يقفون في بابه ويستجدون نواله، حيارى لا يعرفون أنفسهم في طريق طلب النوال، لا تزال ذكرى الوصال تُورقهم، والوصال معرفةً الحبيب، وتعرّفُ جماله الروحي.

الحق يقال: إن أجمل أشعاره هي قصائده الخمرية التي قالها في العشق الإلهي على طريقة المتصوفة، وهي ملّمعات بعضها عربيّ وبعضها فارسيّ، اعتمد فيها الرمز وأحيانًا القصة على عادة الشعراء الإبرانيين

الذين تقدّموه باعتماد الرّمز في أشعارهم، وهو مثلهم يقصد بالكأس والنديم والمُدّام والدف والمطرب والصّنج والسّاقى أسرارًا يُعبّر عنها بالإيماء.

الخمّر لديه طاهرة تزيل الأدناس، وتفعل في العظام فعل الخمرة النّوآسيّة، إنها شعلة الإيمان المقدّسة، وهي تعبّر عن الفناء في الذات العليا، وما المصطلحات التي استخدمها سوى رموز من سلسلة من المعاني العرفانية.

قال في سوانح سفر الحجاز، من مثنوي "تان وحلوا" (الخبز والحلوى)، تحت عنوان: "في التثوّق إلى الإقلاع عن أدناس دار الغرور، والتثوّق إلى الارتماس في بحر الشراب الطهور (كليات شيخ بهاني، ص 106):

يا نديمي ضاع عمري وانقضى	قم لإدراك زمانٍ قد مضى
واغسل الأدناس عنّي بالمُدّام	واملاً الأقداح منها يا غلام
أعطني كأسًا من الخمر الطهور	إنها مفتاحُ أبوابِ السّرور
خلص الأرواح من قيدِ الهموم	أطلق الأشباح من أسر الغموم...

وقال تحت عنوان: "في نعمات الجنان من حدبات الرحمن" (كليات شيخ بهاني، ص 135):

اشفِ قلبي أيّها السّاقى الرّحيم	بالتّي يحيا بها العظمُ الرّميم
واسقني كأسًا فقد لاح الصّباح	والثريا غربت والديكُ صاح
زوّج الصّهباء بالماء الزّلال	واجعلن عقلي لها مهرًا حلال
هاتها من غير مهلٍ، يا نديم	خمرةٌ يحيا بها العظمُ الرّميم
بنّت كرم تجعلنّ الشيخ شاب	من يذق منها عن الكونين غاب
خمرةٌ من نار موسى نورها	دنّها قلبي وصدري طورها

هذه الخمرة المقدّسة تستمد نورها من نار موسى التي يّمها يفتبس منها في جبل الطور، فكان له هناك الوحي الإلهي، وكلمه الله تكليما: (نار موسى، الطور، الوادي المقدّس)، من عرائس شعره في غالبية

قصائده الدينية، يظهر لنا أنّ خمرة البهائي، في جميع جوانب شعره، إنّما هي خمرة الإيمان المطلق بالحقيقة المطلقة، وإن استخدم التعبيرات والمعاني المألوفة في شعر الخمرة عند أمثال أبي نواس:

قم ولا تمهل فما في العمر مهل
لا تصعب شربها فالأمر سهل
قل لشيخ قلبه منها نفور:
لا تخف، فالله توّاب غفور

إنّه يعمد إلى الرمز والإشارة ليعبّر عن فيضه الباطني، ويبدع لنفسه مصطلحات خاصّة، لا يدركها إلاّ الصوفي، فيصبح الفقيه المحافظ عارفاً صوفياً متحرّراً، رفيع التحليق، يوازي شعره شعر كبار المتصوّفين، ويسمو في فضاء الروحانيات، وينسى ما في عالم المعقولات، من صخب وثقل، ثمّ هو يمزج الخمرة بالغناء، وذكر المغني وآلات العزف، وذكر الحبيب، ومصرّحاً باهتمامه بأشعار العرب وأشعار العجم مستفتحاً بالبيت الأوّل من أبيات المثنوي المعنوي. يبدأ الجزء الأوّل من المثنوي المعنوي بأغنية الناي التي مطلعها:

بشنو از نی چون حکایت می کند / از جدائیها حکایت می کند
کز نیستان تا مرا بریده اند / از نفیرم مرد وزن نالیده اند
سینه خواهم شرحه شرحه از فراق / تا بگویم شرح درد اشتیاق
[استمع إلى الناي وهو يحكي / ويشكو قصص الفراق والشجن
قال: حين جذوني من منبتي / تأوّه من عويلي الرجال والنساء
أبتغي صدرًا تشظّي بالفراق / لأبته آلامَ الاشتياق]

يرى بعض شرّاح المثنوي أنّ الناي استعارة للمرشد الكامل لمناسبته له في الصورة، فهو يتّسم بصفرة اللون، وشرح الصدر؛ وهذا اللون الخارجي والحال الداخليّة، ليست إلاّ حالة العاشق، ويستند مولانا في هذا التشبيه إلى الحديث: " مثل المؤمن كمثل المزمار لا يحسنُ صوتُه إلاّ بخلاء بطنِه (المثنوي، فروزانفر، ۱۳۶۰ ش، ص ۲۲۲، و مثنوي معنوي، شرح كريم زمانی، ج ۱، ص ۵۱) ...

يقول البهائيّ (كَلِمَاتُ شَيْخِ بَهَائِي، تحقيق سعيد نفيسي، ص 134 و 135):

يا مغني إنّ عندي كلّ غمّ
قم وألقِ النايَ فيها بالنغم

والصبا قد فاح والقمرى صدح
إن عيشي من سواها لا يطيب
إن ذكر البعد ممّا لا يُطاق
كي يتمّ الحظُّ فينا والطرب
قلته في بعض أيّام الشباب
يا نديمي قم فقد ضاق المجال
واطرُدن همّاً على قلبي هجم

غنّ لي دوراً، فقد دار القدح
واذكرن عندي أحاديث الحبيب
واحدرن ذكرى أحاديث الفراق
روحن روعي بأشعار العرب
وافتتح منها بنظمٍ مستطاب
قد صرفنا العمر في قيل وقال
ثم أطرّبني بأشعار العجم

وابتدي منها ببيت المثنوي للحكيم المولوي المعنوي:

از جدائيها حكايت می کند
ویشکو قصص الفراق والشجن]
علّ قلبي ينتبه من ذي السنة
خائضٌ في قبيله مع قاله

بشنو از نی چون حكايت می کند/
[استمع إلى الناي وهو يحكي/
قم وخاطبني بكلّ الألسنة
إنه في غفلة عن حاله

إنها غفلة الإنسان عن الحقّ عندما يهتمّ بأمور الحياة الدنيا، ويدخل في ما يدخل فيه الناس من جدال عقيم، وكلّ ما في هذه الحياة الدنيا قيودٌ وأغلالٌ تشدّ الإنسان نحو الحضيض، ولا تترك له فرصة التحليق في الفضاء الرّحب، بل إنّ فيها أصناماً يتعلق بها قلبه الضّعيف:

قائلاً من جهله: هل من مزيد
قطّ من سكر الهوى لا يستفيق
تنفرُ الكفّار من إسلامه
وافؤادي، وافؤادي، وافؤاد
فهو ما معبوده إلا هواه

كلّ أنٍ فهو في قيدٍ جديد
تائه في العيّ قد ضلّ الطريق
عاكفٌ دهرًا على أصنامه
كم أنادي، وهو لا يُصغي للتناد:
يا بهائيّ اتخذ قلبًا سواه

وهو يحثّ النديم على عدم تضييع العمر في قيل وقال ونزاع وجدال، وعلى الإسراع في سقيه المدام العذب التي تهدي إلى خير السبيل، حتّى أنّه يتشوّق لو سُقي منها بالدنان لا بالكؤوس؛ إنها تُزيل ما علق في الذهن من العلوم الدنيويّة التي هي "علم الرسوم"، في حين أنّ ما يبقى ليس سوى ما يثمر السعادات الباقية الأخروية:

يا نديمي قم فقد ضاق المجال	قد صرفنا العمر في قيل وقال
إنها تهدي إلى خير السبيل	واسقني تلك المدام السلسيل
إنها نارٌ أضاعت للكليم	واخلع النّعلين يا هذا النديم
دع كؤوسًا واسقنيها بالدنان	هاتها صهباء من خمر الجنان
هاتها من غير عصرٍ هاتها	ضاق وقتُ العمر عن آلاتها
إنّ عمري ضاع في علم الرسوم	قم أزل عني بها رسم الهموم

ثم يصرّح، في الأبيات الفارسيّة التي تلي، أن العلم الرسميّ قيلٌ وقال لا قيمة له، لا يجب أن يكون الفكر إلا في الحبيب... ويقول على لسان المُغنيّ العربي الذي سمعه في طريقه إلى الحجاز يترنّم (كَلَيَاتِ شَيْخِ بَهَانِي، تحقيق سعيد نفيسي، ص 120):

كلّ ما حصّلتموه وسوسه	أيها القوم الألى في المدرسه
ما لكم في النشأة الأخرى نصيب	فكركم إن كان في غير الحبيب
كلّ علم ليس يُنجي في المعاد	فاغسلوا، يا قوم، عن لوح الفؤاد

ويقول في قصيدة الكردي الذي قتل أمّه (المشكول، ط.دار الكتاب ص 149):

واجعلنّ في دَورها عيشي مدام	أيها الساقى أدر كأس المدام
أطلق الأشباح من أسر الغموم	خلص الأرواح من قيد الهموم
من دواعي النفسِ في أسر المحن	فالبهائيّ الحزينُ الممتحن

ويقول، في قصيدة يجمع فيها رموزه العرفانية: الخمرة المقدسة (رمز المعرفة)، جيران الحمى (رمز لجيران دار الخلود)، الساقى (المرشد والدليل إلى الحق)، الدير (مكان تعاطي الخمرة)، المدارس (المواعظ والعلم الرسمي، الذي سماه العلم المجازي وليس هو الطريق الموصل إلى الحق) (كَلَيَاتِ شَيْخِ بَهَانِي، ص 106):

من بعد ما طال المدى	جاء البريدُ مبشراً
---------------------	--------------------

قد قال جيرانُ الحمى	بالله خبرني بما
كأس المدام فإنها	يا أيها الساقى أدرُ
مشكاة أنوار الهدى	مفتاح أبواب النهي
شوقاً إلى أهل الحمى	قد ذاب قلبي يا بني
يا شيخُ قل حتى متى؟	هذا الربيع إذا أتى
الدير أين طريقه	قم يا غلامُ وقل لنا
ومن المدارس ما اهتدى	فالقلب ضيِّع رشده
داوِ الفؤاد من المحنِّ	قل للبهائي الممتحن
تجلو عن القلب الصدا	بمدامةٍ أنوارها

[قصة الرجل الذي قتل أمه لاشتهارها بالفساد]

وردت هذه القصة في المثنوي على النحو التالي: لقد دفع الحنقُ أحدَ الأشخاص إلى أن يقتل أمه، فقال له أحدهم: إنك لخبث طينتك، لم تتذكر ما للأمم من حقِّ عليك!

لماذا قتلت أمك؟ خبرني، قل لي ماذا صنعتَ أيها اللئيم الطبع.

فقال القاتل: " لقد فعلتُ أمراً فيه عارها، فقتلتُها لأنَّ في التراب سترًا لها "

فقال: " كان الأفضل أن تقتل ذلك الرجل السيء "

فقال القاتل: " سيكون عليّ إذاً أن أقتل كلَّ يومٍ رجلاً، لقد قتلتُها فخلصتُ من دماء الخلق! لقد قطعت عنقها، وذلك خيرٌ من قطع أعناق الخلق!

ويعلق المولوي على هذه القصة بقوله: في هذه القصة الرمزية، " الأم الخبيثة الطباع، التي شاع فسادها في كلِّ ناحية فلنقتلها، فإنك من أجل هذه النفس الدنيئة، تعندي في كلِّ لحظة على عزيز (مثنوي معنوي، منشورات دوستان، دفتر الثاني، ط٧، البيت ٧٨١) ...

هذه القصة النثرية يأخذها البهائي ويصوغها بالعربية قصيدة يقول فيها (الكشكول، ط. أعلمي، ٧٠):

كان في الأكراد شخصٌ ذو سداد	أمه ذات اشتهاٍ بالفساد
لم تخيب من نوالٍ راغبًا	لم تنفر عن وصالٍ طالبًا...
جاءها بعض الليالي ذو أمل	فاعتراه الإبن في ذاك العمل
شقّ بالسكين فوراً صدرها	في محاق الموت أخفى بدرها
مكّن الغيلان من أحشائها	خلّص الجيران من فحشائها
قال بعض القوم من أهل الملام	لم قتل الأم يا هذا الغلام؟
كان قتل الأم أولى يا فتى	إن قتل الأم شيء ما أتى
قال: يا قوم اتركوا هذا العقاب	إن قتل الأم أدنى للصواب
كنت لو أبقيتها في ما تريد	كلّ يومٍ قاتلاً شخصاً جديد
إنها لو لم تذق طعم الحسام	كان شغلي دائماً قتل الأنام

في هذه القصة ترمز الأم إلى النفس الأمّارة بالسوء، والكردى الشجاع هو الإنسان الذي يستطيع الخلاص من قوى النفس الكفور، يقول في آخر القصة بما لا يدع مجالاً للتأويل:

أيها المأسور في قيد الذنوب	أيها المحروم من سرّ الغيوب
أنت في أسر الكلاب العاوية	من قوى النفس الكفور الجانية
كلّ صبحٍ مع مساءٍ لا تزال	مع دواعي النفس في قيلٍ وقال
كلّ داعٍ حيّة ذات انتقام	قل: مع الحيات ما هذا المقام؟!
إن تكن من لسع ذي تبغي الخلاص	أو ترم من عضّ هاتيك المناص
فاقتل النفس الكفور الجانية	قتل كرديٍّ لأمّ زانية

والبهائي الإنسان يبغي الخلاص من دواعي النفس بخمرة قدسية تخلص الأرواح من قيد الهموم (الكشكول، ط. أعلمي، ج1، ص 227):

أيها السّاقى أدرُ كأس المُدام
خلص الأرواح من قيد الهموم
فالبهائي الحزين الممتحن
واجعلن في دورها عيشي مدام
أطلق الأشباح من أسر الغموم
من دواعي النفس في أسر المحن

ويعيش الشاعر العارف بصدق روح الحديث القدسي الذي يقول: "إنّ الله سبحانه كان كنزاً مخفياً، فأحبّ أن يُعرف، فخلق الخلق ودعاهم لعبادته، فاستمتعوا بنعمة الإجابة والمعرفة، ثم كانت المعصية والهبوط من دار الخلود إلى دار الفناء، فكان الحنين إلى الحياة الأولى، وكانت الضراعة إلى الله، وكان الاشتياق والمجاهدة للعودة إلى موطن الحبّ والمعرفة، واتخذت محاولة العودة صيغاً مختلفة من الجهاد والاجتهاد".

فروح الإنسان لطيفة ربّانية أودعها خالقها في جسد ترابي. كانت في عالم القدس، وكانت شخصانية ترى وتسمع في عالم الصّورة المتمثّلة التي ظهر بها الخالق لخلقه، وناداهم معلناً ألوهيته، وأنه ربّهم الأكرم الذي يُريهم ويعلمهم. وذلك النداء هو النداء الأوّل الذي سمعته الأرواح من بارئها في ظهوره الأوّل لها في عالم الصورة. هذه الروح التي أنعم الله عليها بمعرفته في عالم القدس، لا تنفكّ قلقاً جزعة بعد الهبوط إلى عالم الكون والفساد، لأنها في شوق دائم إلى ما رأتها وسمعتها من بارئها، متذكّرة ما كان من نعمة اللقاء الأوّل، لذلك فهي لا تزال تحنّ إلى ذلك اللقاء وتلك المنازل، فالمنازل التي يبكيها الشاعر رمزاً لدار الخلود قبل فراقها، ولذلك لا يكفّ عن الحنين إليها، وإلى عهده القديم فيها (كلمات شيخ بهائي، القصيدة الأولى من مثوي "نان وحلوا" (الخبز والحلوى)).

أيها اللاهي عن العهد القديم أيها السّاهي عن النهج القويم
استمع ماذا يقول العندليب حيث يروي من أحاديث الحبيب

فالعهد القديم هو ذلك العهد الذي قطعه الأرواح على نفسها في العالم الأول قبل الهبوط، نسيت العهد الذي قطعه للحبيب (الله عزّ وجل)، ولكن سماع غناء العندليب، بما هو مظهر من مظاهر تجلي الحبيب وقدرته، يعيد الروح إلى ذكرى أيامها الأولى: إذاً هذا الطائر، هو رواية قصّة الحيّ القديم (عالم القدس):

يا بريد الحيّ أخبرني بما
هل رضوا عنا ومالوا للوفا
قاله في حقنا أهل الحمى
أم على الهجر استمرّوا والجفا

التصوّف والعرفان في شعر البهائي الفارسي:

في القصيدة السابقة يتابع ملمّعا بالفارسيّة ما معناه أنه رسول الحظ المبارك، لأنه سيخلص الروح من قيودها:

مرحبا اي پيک فرخ فال ما / مرحبا اي مايهء اقبال ما
مرحبا اي عندليب خوش نوا / فارغم کردی ز قيد ما سوا
مرحبًا يا رسول فألنا المبارك / مرحبًا يا باعث حظنا السعيد
مرحبًا أيها العندليب الجميل الصوت / لقد خلصتني من قيد "ماسوا"

إن سماع الغناء يحرك لدى الصوفي الاضطراب والقلق والغم، يذكره بسماع النغمة الأولى: «ألسنتُ بربكم» إشارة إلى العهد الذي أخذه الله تعالى على بني الإنسان (الأعراف/١٧٢)، وفي ترجيع الطير وأغانيه ما يفعل في النفس، فقد تنتشي وتتذكر براءها وموطنها الأول. الطائر المُغني هو رسول الأرواح، لذلك يُسمّيه هدهد مدينة سبأ، هو حامل الأخبار وهادي الحائرين، حامل الرّسالة والأمانة، المخبر بصدق عن رؤاه ورؤيته:

اي نواهای تو نار مؤصده / زد به هر بندم هزار آتشکده
مرحبا اي هدهد شهر سبا / مرحبا اي پيک جانان مرحبا
غناؤك أيها العندليب نار مؤصدة / أشعلتها ألفاً لقيدي موقده
مرحبًا يا هدهد مدينة سبا / مرحبًا يا رسول الأرواح مرحبًا

ورد في المثنوي المعنوي لجلال الدين الرومي قصّة رمزيّة عنوانها: "حكاية البقال والبيغاء"، استعار البهائي "البيغاء" بطلاً لقصيدة عرفانيّة، لأنّه طائرٌ ناطق:
مرحبا اي طوطى شكر شكن / قل فقد أذهبت عن قلبي الحزن
مرحبًا أيها البيغاء الجميل الكلام / تكلم فقد أذهبت عن قلب الحزن
باز گو از نجد واز ياران نجد / تا در وديوار را آرى به وجد

باز گو از زمزم وخيف ومنا / وارهان دل از غم وجان از عنا
باز گو از مسكن ومأوى ما / باز گو از يار بى پرواى ما
أخبرنا من جديد عن نجد وأحباب نجد / حتى يغيب الحائط والباب من الوجد
أخبرنا من جديد عن زمزم والخيف ومنى / وأرح القلب من الغم والروح من العنا
أخبرنا من جديد عن مسكننا ومأوانا / أخبرنا عن الحبيب الذي لم يراعِ حالنا

ماذا سيعيد هذا البيّغاء على المسامع؟ أحاديث نجد وأحباب نجد، وزمزم والخيف ومنى، ماذا تعني هذه الأماكن بالنسبة إلى المتصوف؟ أليست هي الأماكن المقدّسة التي خاطب فيها الله عزّ وجلّ رسله وأنبياءه؟ من هو الحبيب الذي نفض العهد والميثاق؟ أليس ذلك كناية عن انقطاع العهد بين الخالق والأرواح؟ وما هو إلا تبرئة الذات من المعصية الأولى، التي كانت سبب هبوط الأرواح إلى الأرض وسكنها في الأجساد:

از زبان آن نگار تند خو / از پی تسکین دل حرفی حرفی بگو
یاد ایامی که با ما داشتی / گاه خشم از ناز و گاهی آشتی
ای خوش آن دوران که گاهی از کرم / در ره مهر و وفا می زد قدم
قل كلمة عن لسان ذلك المعشوق الجميل / الحاد الطبع لتسكن قلوبنا
ذکری الأيام التي كانت لنا معه / مرة يغضب وأخرى يصلح من فرط الدلال..
ألا ما أحيلى ذلك العهد، حيث كان حيناً / يتكرم بالسير في طريق الحبّ والوفاء (كَلَيَاتِ شَيْخِ بَهَائِي، ص ١١٩).

ويظلّ العاشق (الروح المشتاقّة إلى بارئها) في شوق دائم، وخشيّة من أن لا تصدّق الرؤيا وتتحقّق، وتخوّف من فقدان الأمل في الرؤية، دائم التذكّر، كمن يستيقظ من حلم سعيد، وكيف يعود إلى الحلم بغير النّوم، حيث ثقلت الروح من شهوات اليقظة، وفي الحلم يرى الحبيب (كَلَيَاتِ شَيْخِ بَهَائِي، القصيدة الثانية من مثنوي "تان وحلوا"):

مسدلاً على كتفيه قصبات المسك / مروّضا العالم كله بنظرة منه

فقصبات المسك التي يُشَبَّه بها الضفائر السوداء، لأن المسك أسود اللون، إنّما يرمز بها إلى الليل حين يزوره خيال الحبيب في المنام، وحين يكثر الشوق والحنين والوجد، ونظرة الحبيب المروّضة للخلق والعالم إنّما هي لطف الله بالعباد، لأن العالم صُنِع من نظرتة، ومن وجوده الأوّل انبثق العالم.

ولكن هل يصل الحالم إلى الرؤية الفعلية؟

- قلت له: متى أراك يا جميل التبختر؟ / قال: نصف الليل، لكن في المنام.

وكيف يكون الوصول؟ بترك الدنيا :

يقول البهائي مستعيناً ببيتين للمولوي:

(- مولوی معنوی در مثنوی / نکتہ ی گفت است تا بشنوی

ترک دنیا گیر تا سلطان شوی / ورنه گر چرخى تو سرگردان شوی

زهر دارد در درون دنیا چو مار / گر چه دارد در بیرون نقش ونگار

زهر این مار منقش قاتل است / می گریزد زو ، هر آن کس عاقل است

زین سبب فرمود شاه اولیا / آن گزین اولیاء وانبیا

"حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة، وتركُ الدنيا رأس كل عبادة" (كَلِمَاتُ شَيْخِ بَهَائِي، ص ١٣٠)

[اسمع ما قاله المولوي في المثنوي المعنوي: اترك الدنيا لتصبح سلطاناً، وإلا فستبقى دولاً دائماً

الحركة.

ويستأنف البهائي الكلام بقوله : إنّ باطن الدنيا سمّ كسمّ الحيّة ، وإن كان ظاهرها نقشاً وزينة،

سمّ هذه الحيّة المنقّش قاتل، يهرب منه كلُّ إنسانٍ عاقل، ولهذا قال سيّد الأولياء النبيّ المصطفى

المختار: «حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة، وتركُ الدنيا رأس كل عبادة».

ويكون الوصول أيضاً بالتقوى التي هي

إقامة التوازن بين الظاهر والباطن.

يقول: (كَلِمَاتُ شَيْخِ بَهَائِي، ص ١٣٢-١٣٣)

- يجب أن يكون الباطن والظاهر واحداً / حتى تجد طريق الحق ولو قليلاً
وبالزهد بكل ما هو أرضي، وبالقناعة:

- إن جملة سعيك أيها الإنسان، للدنيا الدنيّة / فأنت لا تعلم كيف يكون السعي للعقبى
وبالزهد بالمناصب التي تذرو الدنيا في مهب الرياح

- منصب الدنيا يا حسن الأصل / هو ما يجعل بيدك دينك عرضة للرياح
ما هو الزهد؟

- ما هو الزهد؟ إنه تجريد القلب من حبّ الغير / كي لا يمنعك التعلّق بالدنيا من السير.
والزهد هو الخوف والخشية:

- ما يبعدك من خوف الله / هو ما يبعدك من طريق الهدى

إن خشية الله دليلٌ على العلم / ألا فاقراً "إنما يخشى" في القرآن

الخوف والحب معاً يؤدّيان إلى التوبة، وبالتوبة يغسل الساعي إلى الله خطاياهم ومعاصيهم، ويحصل
النوال والعطايا:

- اغسل معاصيك بالتوبة / واحصل على النوال والعطاء بالتوبة

إذا تخلصت بالتوبة من العذاب الأليم، ووصلت إلى النعيم المقيم، فالتوبة هي التي تصلح الأحوال، فلا
تقفل باب العفو، ولا تيأس من رحمة الله، حتى وإن فاقت خطاياك العد، فإنّ عفو الله لا حدّ له:

- إن فاقت خطاياك العد / عفو الله وكرمه يفوق العدّ

بعد التوبة تأتي محاسبة النفس، التي لا تكون إلا بالعزلة والخلوة

- كل من جاءه توفيق الحقّ دليلاً / اختار العزلة ونجا من القيل والقال

ولا يكون تقويم النفس وتربيتها إلا بالفرائض التي فرضها الله على عباده المؤمنين، عبادة الله لأنه أهلٌ للعبادة، لا طمعاً في جنّته ولا خوفاً من ناره:

إذا كان يُمكن أن يُقدّس الله الواحد الصمد من طريق التقليد، نقول على هذا النحو إن جمعاً من العوام قد دخلوا الإسلام ؛ لكن إسلامهم ظاهري، كي يخرجوا من المجوسية والوثنية (كليات شيخ بهائي، مثنوي نان وپنير، ص 80).

... أولئك الذين يعبدون الله من أجل الجنة / ليسوا عشاقاً إنهم طالبو أجر هؤلاء الذين يعبدون الله طمعاً ورياءً / يضيفون ذنباً إلى ميزان سيئاتهم (كليات شيخ بهائي، فصل الرباعيات، ص 83).

- إن الحجر الذي نسجد عليه في صلاتنا رياءً / أخاف إن يُثقلَ ميزان أعمالنا (المصدر نفسه، فصل الغزليات، ص 75)

العبادة الحقيقية هي التي يكون دورها قهر النفس وتربيتها وتقويمها، فاللقمة المعجونة بالعبادة هي التي تقهر النفس وتقومها:

- إن نتيجة اللقمة المعجونة بالعبادة ظاهرة للعيان / فأنت تقوم النفس وتقهرها بها (المصدر نفسه، مثنوي نان وحلوا، القصيدة الثامنة).

إن الإقبال الكلي على العبادة ظاهراً وباطناً، هو الذي يقوم النفس ويهدبها، وهذا ما عناه بقوله:
- إذا كنت تطلب حياة سعيدة / فاقتل بقرة نفسك أولاً (المصدر نفسه، القصيدة نفسها).

والسعادة في معرفة الحق في المقام الأول، هذه السعادة تحوّلت إلى شقاء عندما حجبت الرّوح في ظلمة الجسد الكثيف، ولا تنال السعادة الأولى إلا بالتخلص من ربة الجسد الذي هو مستودع مؤقت للروح، أو هو معتقل لها:

- إلى متى ستظل يا هدهد مدينة سبأ

في الغربة مقيد القدمين

اجتهد كي تفك قيود قدميك

وتطير في الفضاء الرحب (المصدر نفسه، القصيدة العاشرة).

فهدهد مدينة سبأ يرمز هنا إلى الروح (رسول العالم العلوي إلى العالم السفلي) والغربة والقيود هو الجسد الكثيف، وإنما السعادة في التحليق:

- إلى متى ستظل يا عندليب عالم القدس

محبًا لقفصك [زخارف الدنيا] وعاشقًا لمصيدتك (كليات شيخ بهاني، فصل الغزليات، ص75)

فعندليب عالم القدس هو الروح، والقفص هو الجسد الكثيف، والروح التي أنعم الله عليها بمعرفته في عالم القدس، لا تفك قلعة جزعة بعد الهبوط إلى عالم الكون والفساد، وهي في شوق دائم إلى ما رأته وسمعتته من بارئها يوم أشهد الخلق على أنفسهم قائلاً: «ألسْتُ بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا» [الأعراف/172]

- إلى متى ستظل قانعًا بتربية بدنك، وبالتراب بديلاً من جنة عدن، تطلع إلى الملك الذي ينتظرك،

واخرج من البئر يا يوسف المصري، لتصبح والي مصر الوجود، وسلطان سرير الشهود. في يوم، "ألسْتُ" قلت: نعم، والآن أنت مُقَيَّدٌ بسرير "لا"، إلى متى ستظل بعيداً عن المعارف العقلية، مغروراً بزخارف عالم

الحس لا تذكر وطنك الأصلي، متعلقاً باللهو واللعب والمرح؟ (كليات شيخ بهاني، مثوي شير وشكر، القصيدة الأولى)

فهو يرمز، هنا، بيوسف إلى الروح، والبئر هو الجسد الترابي الكثيف، ولن تخلص الروح من ربة الجسد، كما تخلص يوسف من البئر، وأصبح ملك مصر، إلا حين تتذكر يوم المعرفة الأولى، وتسعى للعودة إليه، إلى الوطن الأصلي، الوطن الأوّل: إقليم النعيم:

يقول بالعربية:

أيها المحروم من سرّ الغيوب

أيها المأسور في قيد الذنوب

إنها في "الجيد حبل من مسدّ"

لا تقم في أسر لذات الجسد

قَم توجّه شطر إقليم النعيم

واذكرِ الأوطانَ والعهدَ القديمَ

(المصدر نفسه، الأبيات الثلاثة الأولى هي بالعربية في الأصل، وبقية القصيدة بالفارسية)

ويتابع بالفارسيّة :

گنج علم ما ظهر مع ما بطن گفت از ایمان بود حب الوطن
این وطن مصر و عراق و شام نیست این وطن شهر بیست که آنرا نام نیست
از اینکه آن اوطان از دنیا تمام مدح دنیا کی کند خیر الأنام
تو در این اوطان غریبی ای پسر خو به غربت کرده ی خاکت به سر

إنّ كنز العلم ما ظهر منه وما بطن

قال: إن حبّ الوطن من الإيمان

هذا الوطن ليس مصر أو العراق أو الشام

هذا الوطن مدينة لا اسم لها

إن هذه الأوطان جميعها من الدنيا

فكيف يمدح الدنيا خيرُ الأنام

أنت في هذه الأوطان غريبٌ يا فتى

اعتدت الغربة فعيبٌ عليك

آن قدر در شهر تن مانده اسیر که آن وطن یکبارہ رفتت از ضمیر

تا به کی ای هدهد شهر سبا در غریبی مانده باشی بسته پا

بقیت کل هذه المدّة أسیر مدينة الجسد

ونسیت وطنك الأصليّ وطنَ الروح

حتى متى يا هدهد مدينة سبأ

تبقى في الغربية مقيد القدمين؟

وكيف تفكُّ الروحُ الأغلالَ التي تشدُّها إلى الأرض؟

بالمجاهدة: مجاهدات المحبّة، حيث تنفلت الروح من متطلبات الجسد، وبهذا يصبح الصوفيُّ على باب الطريق إلى العودة، متذكراً سعادات المعرفة الأولى، حين يتوصّل إلى السرِّ الأزلي، ويقترّب من العلم الحقيقي (معرفة الحق) أو العشق الإلهي، وهو الغاية التي يجاهد من أجلها المحبّون المغرمون بكمال الجمال، ويقطعون في مجاهداتهم مراحل الطريق مرحلة مرحلة حتى يبلغوا النهاية.

ما هو العلم الحقيقي في نظره:

- العلم الرسمي كله قيل وقال، لا يحصل منه جذبة أو حال

العلم الحقيقي هو علم العشق وما عداه تلبس إبليس الشقي

ماذا يبغى العاشق من علم الرسوم وإلام يسعى في طلباه؟

العلم الحقيقي الذي يجب أن تطلبه هو نور القلب والصدر طوره

اطلب علماً ليس كتابياً، علماً حاليّاً وليس مقالياً

إنّه علم يجدد لك الروح، إنه علم العشق فاسمع مني

علم معه مفاتيح خزائن الوجود، وهو الساري في ذرات الوجود

العلم الرسمي هو خسران كله، فتعلق بالعشق الذي هو العلم الحقيقي

علم العشق خال من كيف ولماذا، ينبوعه العليّ العالي

أيها الساقى اسقني قدحاً من شراب "ألست"

الذي لا يُتعب رجلاً ولا يثقلُ يداً (كَلَيَاتُ شَيْخِ بَهَائِي، القصيدة الخامسة من مثنوي شير وشكر).

وبعد أن تشعر الروح بالظماً، وهي مقيدة في ظلمة الجسد، تتوجه بكليتها إلى النور العلوي، فتضع قدمًا في عالم آخر مختلف، أفضل وأجمل وأعلى، هو مدينة الروح، والعالم الجديد، مختلف عن عالم الجسد، فتصبح خالصةً مصفاةً من تراب ظهور، لا تخاف نارًا ولا بردًا، كل جهة في ذلك العالم الجديد تبدو متعة للناظرين، تفيض عليها الأنوار القدسيّة، فلا ترى إلا حُسْنًا في حُسْنٍ وجمالاً في جمال (كَلَيَاتُ شَيْخِ بَهَائِي، القصيدة الأولى من مثنوي نان وبنير).

وهو يرمز إلى المعرفة بالخمرة المقدسة التي تهدي إلى خير السبيل، فليشربها بكثرة لضيق الوقت، لأنّ ما بقي من العمر لا يكفي للتكفير عمّا مضى منه، وليشربها من دون عصر (أي من دون تمحيص) لأنّ ما بقي من العمر لم يعد كافيًا للقليل والقال، هذه الخمرة المقدّسة هي التي تزيل التوتر والقلق والهموم، وتريح النفس والفكر من العلوم المجازية.

ثمّ يقول بالعربيّة:

يا نديمي قم فقد ضاق المجال	قد صرفت العمر في قيل وقال
إنها تهدي إلى خير السبيل	واسقني تلك المدام السلسبيل
إنها نار أضاعت للكليم	واخلع النعلين يا هذا النديم
دع كؤوسًا واسقنيها بالدنان	هاتها صهباء من خمر الجنان
هاتها من غير عصرٍ هاتها	ضاق وقت العمر عن آلاتها
إنّ عمري ضاع في علم الرسوم	قم أزل عني بها رسم الهموم
لا تخف فإله توّاب غفور ¹ ...	قل لشيوخ قلبه منها نفور:

ثم يتساءل: إن قيل لك أنه لم يبق من عمرك سوى سبعة أيام، وهذا أمر يقين، أنت في هذه الأيام السبعة ماذا تختار؟ الفلسفة أو النحو أو الطب أو النجوم أو الهندسة أو الرمل أو الأعداد المشؤومة؟

¹ كَلَيَاتُ شَيْخِ بَهَائِي، مثنوي نان وحلوا، القصيدة السادسة

العلم الحقيقي ليس سوى علم العشق، وما بقي من العلوم المجازية ليس سوى تلبيس إبليس الشقي، وكذلك علم الفقه وعلم تفسير الحديث.

هذه العلوم، لا تؤدّي إلى كشف السر حتى وإن كان تلاميذك مئة من أمثال "الفخر الرازي"، فإنك إن لم تتعلم "العشق الإلهي" فلن ينكشف لك السر ويزول الحجاب (المصدر نفسه، القصيدة الثالثة)...

الخمرة والغناء والحبيب هي رموز العرفان الثلاثة التي سطعت في أشعاره، ولقد خلع البهائي على المحبوب الإنسان جميع الصفات التي تجعل منه المعشوق كامل الأوصاف.. وهو يدعو إلى الحب، فمن لا حبيب له لا روح له، والحبُّ وحده يهذب النفوس، ويعيد إليها فطرة الجمال الأولى:

من لم يوِّله بحب الوجه القمريّ الجميل

إمّح اسمه من لوح الإنسانية

القلب الخالي من حب الجميلات المورّدات الخدود

شجرة قديمة يابسة الأغصان

والقلب الخالي من المعشوق ليس صدرًا

إنه صندوق قديم

كلّ ما في العالم دليل على المعشوق

والعاشق لا يرى فيه غير معشوقه

كل ما كان في العالم كان ليلى

نحن لا نرى فيه غيرها

يا بهائي، طريق العشق لن تقطعها إلا بالعشق... (كليات شيخ بهائي، المثوي نفسه، القصيدة الثالثة)

مصطلحات التصوّف والعرفان في شعر البهائي

الشعراء العرفاء جميعهم يلتقون في التعبير المتقارب عن الحنين إلى الأصل الإلهي، والشوق إلى الصّفاء الذي يعيد، إلى الجنّة المفقودة والنعمة المرجوّة، نعمة اللقاء، والغرق في بحر السرّ، والتخلص من ربة الجسد الكثيف؛ وذوق التصوف والعرفان فطريّ، وموهبة ربّانية لا تأتي كغيرها من العلوم بالاكتساب والبحث والدرس والجدل... وللشعراء العرفاء مصطلحات وتعابير مجازيّة سطعت في أشعارهم، لا يفهمها أو يتذوقها إلا من تمرّس بقراءة هذا الشعر، وأدرك ما تعنيه هذه الرموز... هذه التعابير المجازيّة لا تختص بالشعراء الإيرانيين وحدهم، وإنما هي في شعر العرفانيين الهنود، أيضًا، والشعراء العرب من أمثال ابن الفارض ومحيي الدين ابن عربي، والسهروردي وغيرهم.

وقد ورد في شعر البهائي مصطلحات من قبيل:

الخمرة والحبيب: وهما رمزان لواجب الوجود المطلق ولمعرفته، لقد خسرنا الدين والدنيا بنظرة واحدة، ونحن مع ذلك فرحون

أجل هذا من ثمار الحب، وليس من ثمار الحبّ ندامة

نحن لا نريد من الحبيب سوى الحبيب

أما الحور العين والجنة فلك ايها الزاهد بسخاء

رأيت في حانوت الخمر زاهدًا قد احمرّ وجهه من الخمرة

قلت له: فليبارك الله إسلامك

عمرّ قلوبنا بكرمك قبل أن تهرّم هذه القلوب..

ويقول:

أيها العقل الخجل من جهلنا وعدم معرفتنا

لقد تعجّب الكثيرون من حيرتنا وترددنا

في حضننا صنم وجبهتنا في السجود

لقد ضحك الكفر من إسلامنا

ويقول:

لقد أوقد شيخ المجوس نار الحديث

رأى إيماني فاحترق قلبه عليّ

أخذ من خرقة الكفر شبه رقعة

وأتى بها فخاطها على كمّ إيماني

هل يدل ما ذكرناه على تناقض بين وجهي البهائي: عالم الرسوم (الفقيه المجدد)، والعارف الكاره لعلم
الرسوم، أو أنّ هناك سعيًا وكدًا للتوفيق بين الظاهر والباطن، ومجاهدةً للارتقاء من حضيض النزاع
والجدال الأرضيين إلى حضن الملكوت الأعلى؟

وهل يمكن للإنسان أن يوفق بين هذين الوجهين؟

إنه يسعى...

وقد تكون أفضل إجابة عن هذا السؤال ما نختم به هذا المقال، وهو قول الشيخ البهائي في مقدمة
مثوي نان وپنير:

" من تقّه ولم يتصوّف فقد تقيقه، ومن تصوّف ولم يتقّه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق".

الحواشي

(١) تعريف الشيخ البهائي

ولد محمد بهاء الدين العاملي في العام 953 هـ، في قرية إبعاث الواقعة على بعد خمسة كيلومترات من مدينة بعلبك؛ حيث كان والده يدرّس
وأستاذَه الشهيد الثاني (الشيخ زين الدين بن نور الدين العاملي الذي قتل في العام 965هـ -1557 م) الفقه على المذاهب الخمسة، وكان في السابعة من

عمره حين هاجر مع أبيه إلى إيران، حيث عاش عامّة عمره، لم يغادرها إلا لمدّة قصيرة في العام (991هـ- 1583) إلى الحج، ومن الحجاز قصد مصر للأخذ عن شيوخها، ومنها توجه إلى القدس الشريف، ثم إلى دمشق فحلب، وعاد إلى إيران في رمضان من العام 992 هـ- 1585م. تولى الشيخ البهائي مشيخة الإسلام في زمن الشّاه عبّاس الكبير (حكم من سنة 995 هـ- 1587م، حتى العام 1038 هـ- 1621م)، وقد ارتبط هذان الاسمان، إلى أن توفي الشيخ في العام 1030 هـ- 1621 م، في إصفهان، ومنها نُقل إلى المشهد الرضوي المقدّس بحسب وصيته، حيث دُفن قرب الحضرة المقدّسة، وقبره مشهور يزوره العامة والخاصة.

كان الشيخ البهائي متعدّد جوانب المعرفة، فيلسوفًا حكيمًا وفقهًا مفسّرًا وعالمًا رياضيًا ومهندسًا وأديبًا شاعرًا.

والبهائي أوّل من نظّم الشعر الفارسي على بحر الخبيب، كما أنه نظم كثيرًا من شعره على طريقة "الدوبيت" أو "الرباعيات"، وهكذا أسدى خدمة إلى الثقافتين: العربية والفارسية بتطوير النظم في كل منهما، باعتماده، في كل منهما، وزنًا من أوزان الأخرى..

- (للتوسّع يرجى العودة إلى كتاب الباحثة "بهاء الدين العاملي، أديبًا وفقهًا وعالمًا"، فصل الكتب المنسوبة إليه).

٢) تعريف جلال الدين محمّد المولوي البلخي الرومي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ)

الشاعر العارف والناطق المشهور، أحد العارفين والكُمل الواصلين. كان جلال الدين ابنَ خمس سنوات حين هاجر من بلخ إلى قونية بصحبة أبيه "سلطان العلماء بهاء الدين" المعروف ببهاء ولد (٥٤٣ - ٦٢٨) حوالي ٦٠٩ أو ٦١٠ هـ. حين وصلا إلى نيسابور ودخلا في خدمة الشيخ فريد الدين العطار (المتوفى سنة ٦١٨ هـ، أهدى العطار جلال الدين كتابه "أسرار نامه" وأوصى أباه: "بجلّ هذا الطفل فسوف يُلقى ضربةً في القلوب المحروقة في العالم بنفسه المحموم" (معصوم علي شاه، طرائق الحقائق، طهران ١٣١٨هـ، ج٢، ص ١٤٠، لغت نامه، ج، ص 217 و 120).

٣) العرفان بمعنى معرفة الله الحقّ المتعالي (لغت نامه، ١، ٤١٧٤، مادّة "عرفان")، لكنّ هذه المعرفة لا تُحصّل إلا من طريق تصفية الباطن، وتجلية السرّ، وتحلية الروح، كما يعتقد به السالكون الذين يطؤون طرق الكمال.

مصادر البحث:

كتب الشيخ البهائي العربيّة

- 1- الحبل المتين: منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران. من دون تاريخ مع رسائل الشيخ البهائي.
- 2- زبدة الأصول: مخطوط مصور عن مكتبة آل إبراهيم (الدوير- جنوب لبنان).
- 3- الكشكول للشيخ البهائي، ط. أعلمي. ٣ أجزاء ١، الطبعة السادسة.
- 4- كلمات المحققين، منشورات مكتبة المفيد، قم، إيران، ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢م.
- 5- مشرق الشمسيين: مخطوط خاص (١٦٩٠م).
- 6-__ الوجيزة في الدراية، الشيخ البهائي- المطبعة الحيدرية ١٣٩٦هـ- ١٩٧٢، قم، إيران.

كتب الشيخ البهائي الفارسيّة

- 1- أربعين شيخ بهائي: شرح خاتون آبادي، نسخة مصورة عن مخطوطة إسماعيل الخوانساري ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
- 2- جامع عباسي: مؤسسة انتشارات فراهاني- تهران- مصور عن مخطوطة ميرزا الشيرازي ١٣١٩هـ- ١٩٠١م.
- 3- كلييات آثار وأشعار شيخ بهائي، تقديم سعيد نفيسي، تهران، ١٣٦١ش [١٩٨٢م].

كتب المولوي الفارسيّة

- 1- **فيه ما فيه**، جلال الدين المولوي، تحقيق فروزانفر، ط٢، طهران ١٣٦٢ش
 - مثنوى معنوى، جلال الدين المولوي، تحقيق نيكلسون، ط٣، منشورات أمير كبير، طهران ١٣٥٢ش [١٩٧٣م]
 - مثنوى معنوى، شرح كريم زمانى، منشورات اطلاعات، ط١٢، طهران ١٣٨٢ش]
- [٢٠٠٣م]

المراجع العربيّة:

- (1) ابن معصوم، سلافة العصر، المكتبة الرضوية، تهران، لا.ت.
- (2) الإصفهاني: رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، إيران، لا.ت.
- (3) الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ت. حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، لا.ت.
- (4) البحراني، كشكول البحراني، تحقيق محمد صادق الكتبي، النجف 1376هـ- 1956.
- (5) الخفاجي: ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، طبعة عيسى البابي الحلبي، لا.ت.
- (6) الخوانساري: روضات الجنات، 8 أجزاء مكتبة إسماعيليان، إيران 1392هـ.
- (7) سلافة لعصر لابن معصوم، المكتبة الرضوية، تهران، لا.ت.
- (8) عباس، دلال: بهاء الدين العاملي، أديباً فقيهاً وعالمًا، دار الحوار، بيروت، 1995؛ المرجع نفسه، دار المؤرخ العربي، بيروت 2010.
- (9) عباس، دلال: التدين والنفاق بلسان القطة والفأر، ترجمة وتحقيق كتاب "موش وگربه"، دار رياض الريس، بيروت، 1995م.
- (10) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، 1403هـ- 1983.
- (11) مطهري، مرتضى: الإسلام وإيران، ت. محمد هادي اليوسفي، دار التعارف- دار التبليغ (1400هـ).

المراجع الفارسيّة

- دهخدا، لغت نامه

- زرین کوب، عبد الحسین، ارزش میراث صوفیه، ط ۳، ۱۳۵۳ش [۱۹۷۴م]

- صدیق، عیسی، تاریخ فرهنگ ایران، ط ۲- طهران-۱۳۳۸ش- [۱۹۵۹م]

- غنی، قاسم، تاریخ تصوّف در اسلام، طهران ۱۳۳۰ش [۱۹۵۱]، منشورات مکتبه ابن سینا.

- نفیسی، سعید، سرچشمه تصوّف در ایران [منبع التصوف فی ایران]، منشورات مکتبه فروغی، طهران ۱۳۴۷ش [۱۹۶۸].

- العاملي، بهاء الدين (الشيخ البهائي)، کلیات اشعار و آثار شیخ بهائی، تقدیم سعید نفیسی، منشورات جکامه، طهران ۱۳۶۱ش [۱۹۸۲م].

- العاملي، بهاء الدين (الشيخ البهائي)، کلیات اشعار و آثار فارسی شیخ بهائی، تصحیح غلام حسین جواهری، ط ۲، منشورات مکتبه محمودی، ط ۲، ۱۳۶۳ش [۱۹۸۴].